مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثامن عشر
2001

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1369 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2001 من ميلاد المسيح عليه السلام

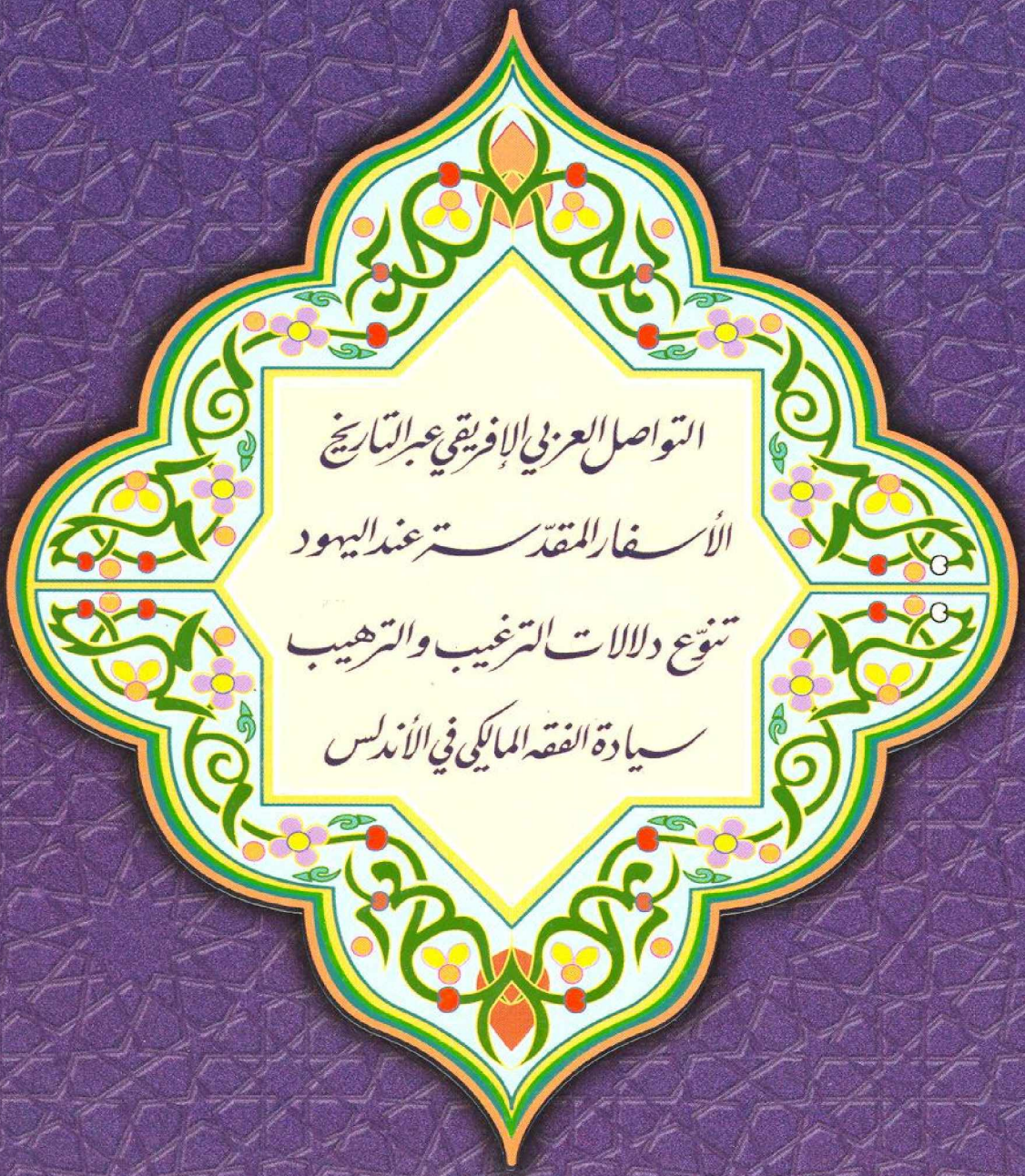

الصورة في اللغة تطلق على الشكل والصفة[1]، وفي الفلسفة عند أرسطو هي إحدى العلل الأربع للشيء: الصورة، الهيولي (المادة)، الفعل، الغاية»[2] وقد «دعم الفصل بين الصورة و(الهيولي) في هذه الفلسفة فكرة المعتزلة القائلة بالفصل بين اللفظ والمعنى في تفسير القرآن الكريم»[3] «والصورة الفنية منهج معين يستخدم في الفن لترديد الواقع الموضوعي في شكل حي ومتعين وحسي يمكن إدراكه بطريقة مباشرة في إطار مثل أعلى جمالي

(1) لسان العرب مادة صور.

(2) موسوعة الفلسفة 2/ 48.

(3) الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ط2/ 15.

محدد»[4] وقد عبر نقاد العرب القدامى عن الصورة بسائر وجوه البيان، وقد وردت الصورة في القرآن الكريم بمعنى الشكل والهيئة مثل قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾[7].

أما البيان لغة: فهو الكشف والتوضيح والظهور[8] وفي قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[9] قال صاحب الكشاف: «إيضاح لسوء عاقبة ما هم فيه من التكذيب»[10]. والبيان عند البلاغيين هو «علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المعنى المراد بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض»[11].

والتفسير الكبير، واسمه مفاتيح الغيب[12] هو واحد من سبعة وستين مصنفاً نسبت إلى الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد اللّه محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، الشافعي المذهب، المفسر، المتكلم، الأصولي، المتطبب، المولود بالري في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث أو أربع أو خمس وأربعين وخمسمائة المتوفى بهراة في يوم الاثنين أول شوال من سنة ست وستمائة[13]. قال أبو حذيفة إبراهيم بن محمد عن مفاتيح الغيب «التفسير أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي علوم الكون والطبيعة إذ إن هذه الناحية هي التي غلبت عليه»[14].

---

(4) الموسوعة الفلسفية/ 278.
(5) سورة الانفطار، الآية: 8.
(6) سورة آل عمران، الآية: 6.
(7) سورة غافر، الآية: 64.
(8) لسان العرب مادة بين
(9) سورة آل عمران، الآية 138.
(10) الكشاف 1/ 417.
(11) معجم البلاغة العربية 1/ 111.
(12) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية/ 1990.
(13) المرجع نفسه 1/ 5.
(14) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية/ 30.

يحاول البحث استقصاء الصور البيانية في التفسير الكبير، كما قسمها المتأخرون: التشبيه، والمجاز، ثم الاستعارة، فالكناية.

التشبيه:

التشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل «شبه: الشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثلة»[15] وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[16]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[17] وقوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾[18].

والتشبيه اصطلاحاً له تعريفات عديدة متفقة في المعنى، وإن اختلفت لفظاً، فابن رشيق يعرفه بقوله: «التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته... والتشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد، كما شرط الرماني في كتابه، وهما عنده من باب الاختصار»[19] والخطيب القزويني يعرفه بقوله: «التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى»[20] ويقول ابن الأثير: «فالتشبيه إذاً يجمع صفات ثلاث هي: المبالغة، والبيان، والإيجاز»[21]، ويقول عبد القاهر الجرجاني: «فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً»[22] ومن المحدثين من عرف التشبيه «الأخبار بالشبه، وهو

---

(15) لسان العرب، القاموس المحيط، أساس البلاغة/ مادة شبه.

(16) سورة النساء، الآية: 157.

(17) سورة البقرة، الآية: 70.

(18) سورة الرعد، الآية: 16.

(19) العمدة 1/ 488 ـ 489.

(20) التلخيص في علوم البلاغة/ 238 ـ 242.

(21) المثل السائر 2/ 122.

(22) أسرار البلاغة/ 99.

اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر، ولا يستوعب جميع الصفات»[23]، وكذلك «بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه التشبيه»[24] وهو «عقد مماثلة بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة، أو أكثر، بأداة: لغرض يقصده المتكلم»[25].

برع الرازي في تحليل الصور التشبيهية على نحو من الدقة والعمق الذي يجلي فيه عمق الدلالة في ضوء السياق اللغوي، وترابط المفردات في آي الذكر الحكيم، مثل قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[26]. قال: «حرث لكم أي مزرع ومنبت للولد، وهذا على سبيل التشبيه، ففرج المرأة كالأرض والنطفة كالبذر، والولد كالنبات الخارج، والحرث مصدر، ولهذا وجد الحرث فكأن المعنى نساؤكم ذوات حرث لكم»[27] وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[28]، قال: «في هذا التشبيه قولان، أحدهما: أنه عائد إلى أصل إيجاب الصوم، يعني هذه العبادة كانت مكتوبة واجبة على الأنبياء من لدن آدم إلى عهدكم، ما أخلى الله أمة من إيجابها عليهم لا يفرضها عليكم وحدكم... والقول الثاني: أن التشبيه يعود إلى وقت الصوم وإلى قدره، وهذا ضعيف لأن تشبيه الشيء بالشيء يقتضي استواءهما في أمر من الأمور، فأما أن يقال إنه يقتضي الاستواء في كل الأمور فلا»[29].

ومن التشبيه المرسل المفصل، وهو ما ذكرت فيه الأداة، ووجه الشبه فيه

---

(23) معجم البلاغة العربية 1/ 360.
(24) علم البيان/ 62.
(25) جواهر البلاغة/ 247.
(26) سورة البقرة، الآية: 223.
(27) مفاتيح الغيب 6/ 61.
(28) سورة البقرة، الآية: 183.
(29) التفسير الكبير 5/ 59 ـ 60.

صورة غير منتزعة من متعدد[30] ما ذكره الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[31]، قال: «المراد تشبيه العلم بأشخاص الأبناء وذواتهم، فكما أن الأب يعرف شخص ابنه معرفة لا يشتبه هو عنده بغيره فكذا ههنا، وعند هذا يستقيم التشبيه، لأن هذا العلم ضروري وذلك نظري، وتشبيه النظري بالضروري يفيد المبالغة وحسن الاستعارة»[32]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[33]، قال: «ليس المراد محبة ذاتهم، فلا بد من محذوف، والمراد: يحبون عبادتهم أو التقرب إليهم والانقياد لهم، أو جميع ذلك. وقوله كحب الله فيه ثلاثة أقوال: قيل فيه كحبهم الله، وقيل فيه: كالحب اللازم عليهم لله، وقيل فيه: كحب المؤمنين لله، ومن قال إنهم ما كانوا عارفين بربهم حمل الآية على أحد الوجهين الباقيين: إما كالحب اللازم لهم، أو كحب المؤمنين لله، والقول الأول أقرب لأن قوله «يحبونهم كحب الله» راجع إلى الناس الذين تقدم ذكرهم، وظاهر قوله «كحب الله» يقتضي حباً لله ثابتاً فيهم، فكأنه تعالى بين في الآية السالفة أن الإله واحد، ونبه على دلائله، ثم حكى من يشرك معه، وذلك يقتضي كونهم مقرين بالله تعالى»[34].

ومن التشبيه المرسل المجمل، وهو ما ذكرت فيه الأداة، وحذف منه وجه الشبه[35] قال الرازي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[36]، قال: «أي صارت قلوبهم بعد ظهور مثل هذه الآية من بعد ما أظهر الله تعالى من إحياء ذلك القتيل عند ضربه ببعض البقرة المذبوحة حتى عين

(30) علم البيان/ 89.
(31) سورة البقرة، الآية: 146.
(32) التفسير الكبير 4/ 117.
(33) سورة البقرة، الآية: 165.
(34) التفسير الكبير 4/ 185.
(35) علم البيان/ 90.
(36) سورة البقرة، الآية: 74.

القاتل ـ في القسوة كالحجارة»[37]. وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[38]. قال: «إني بينت لكم الأمر فيما سألتم عنه من وجوه الإنفاق ومصارفه، فهكذا أُبيّن لكم في مستأنف أيامكم جميع ما تحتاجونه»[39]. وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[40] قال: «في كيفية النظم وجوه: الأول: قال القاضي.. فكأنه تعالى قال لمن رغبه في الإنفاق قد عرفت أني خلقتك وأكملت نعمتي عليك بالإحياء والإقدار، وقد علمت قدرتي على المجازاة والإثابة، فليكن علمك بهذه الأحوال داعياً إلى إنفاق المال، فإنه يجازي القليل بالكثير، ثم ضرب لذلك الكثير مثلاً وهو من بذر حبة أخرجت سبع سنابل في... المسألة الثانية في الآية إضمار، والتقدير: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم كمثل حبه، وقيل: مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زرع حبة»[41] وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[42]، قال: «للعلماء من أهل التأويل في هذه الآية طريقان. أحدهما: تصحيح المعنى بالإضمار في الآية. والثاني: إجراء الآية على ظاهرها من غير إضمار. أما الذين أضمروا فذكروا وجوهاً، الأول: وهو قول الأخفش والزجاج وابن قتيبة، كأنه قال: ومثل من يدعو الذين كفروا إلى الحق كمثل الذي ينعق، فصار الناعق الذي هو الراعي بمنزلة الداعي إلى الحق، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، وسائر الدعاة إلى الحق، وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها. ووجه التشبيه أن البهيمة تسمع الصوت ولا تفهم المراد، وهؤلاء الكفار كانوا يسمعون صوت الرسول وألفاظه، وما كانوا ينتفعون بها وبمعانيها، لا جَرَمَ

(37) التفسير الكبير 3/ 118.
(38) سورة البقرة، الآية: 219.
(39) التفسير الكبير 6/ 43.
(40) سورة البقرة، الآية: 261.
(41) التفسير الكبير 6/ 39.
(42) سورة البقرة، الآية: 171.

حصل، وجه التشبيه الثاني: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الأوثان كمثل الناعق في دعائه ما لا يسمع، كالغنم وما يجري مجراه من كلام البهائم، لا تفهم. فشبه الأصنام في أنها لا تفهم بهذه البهائم. الثالث: قال ابن زيد: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه عند الجبل فإنه لا يسمع إلا صدى صوته...»[43].

ومن تشبيه التمثيل، وهو «ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعاً من متعدد: حسياً كان أو غير حسي»[44] و«لا يشترطون فيه غير تركيب الصورة»[45]، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[46]، قال: «فيه وجوه، أحدها، وهو قول جمهور المفسرين: أنا ذكرنا أن القوم كانوا بعد الفراغ من الحج يبالغون في الثناء على آبائهم في ذكر مناقبهم وفضائلهم، فقال الله سبحانه وتعالى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ يعني توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الآباء... وثانيها: قال الضحاك والربيع: اذكروا الله كذكركم آباءكم وأمهاتكم... وثالثها: قال أبو مسلم: جرى ذكر الآباء مثلاً لدوام الذكر... ورابعها: قال ابن الأنباري: إن العرب كان أكثر أقسامها في الجاهلية بالآباء... وخامسها: قال بعض المذكورين: المعنى اذكروا الله بالوحدانية كذكركم آباءكم بالوحدانية.. وسادسها: أن الطفل كما يرجع إلى أبيه في طلب جميع المهمات. ويكون ذاكراً له بالتعظيم، فكونوا أنتم في ذكر الله كذلك، وسابعها: يحتمل أنهم كانوا يذكرون آباءهم ليتوسلوا بذكرهم إلى إجابة الدعاء عند الله، وثامنها: روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية: هو أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالدك إذا ذكر بسوء.. واعلم أن هذه الوجوه وإن كانت محتملة إلا أن الوجه الأول هو المتيقن»[47] وقوله تعالى: ﴿أَوْ

(43) التفسير الكبير 5/ 8.
(44) جواهر البلاغة/ 262.
(45) علم البيان/ 86.
(46) سورة البقرة، الآية: 200.
(47) التفسير الكبير 5/ 158.

كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[48]. قال: «اعلم أن هذا هو المثل الثاني للمنافقين، وكيفية المشابهة من وجوه. أحدها: إنه إذا حصل السحاب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق، واجتمع مع ظلمة السحاب ظلمة الليل، وظلمة المطر عند ورود الصواعق عليهم... فشبه المنافقين في حيرتهم وجهلهم بالدين بهؤلاء الذين كانوا لا يرون طريقاً ولا يهتدون، وثانيهما أن المطر وإن كان نافعاً إلا أنه لما وجد في هذه الصورة في هذه الأحوال الضارة صار النفع به زائلاً، فكذا إظهار الإيمان نافع للمنافق لو وافقه الباطن... وثالثها: ... شبه تعالى حال المنافقين في ظنهم أن إظهارهم للمؤمنين ما أظهروه ينفعهم مع أن الأمر في الحقيقة ليس كذلك. ورابعها: أن عادة المنافقين كانت هي التأخر عن الجهاد وفراراً من الموت والقتل فشبه الله حالهم في ذلك بحال من نزلت هذه الأمور، به وأراد دفعها بجعل أصبعيه في أذنيه. وخامسها إن هؤلاء الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم وإن تخلصوا من الموت في تلك الساعة، فإن الموت والهلاك من ورائهم لا مخلص لهم منه، فكذلك حال المنافقين في أن الذين يخوضون فيه لا يخلصهم من عذاب النار. وسادسها: أن من هذا حاله قد بلغ النهاية في الحيرة لاجتماع أنواع الظلمات وحصول أنواع المخافة، وحصل في المنافقين نهاية الحيرة في باب الدين، ونهاية الخوف في الدنيا.. وسابعها: المراد من الصيب هو الإيمان والقرآن، والظلمات والرعد والبرق هي الأشياء الشاقة على المنافقين... فكما أن الإنسان يبالغ في الاحتراز عن المطر الصيّب... فكذا المنافقون يحترزون عن الإيمان والقرآن بسبب هذه الأمور المقارنة... والسؤال: أي التمثيلين أبلغ؟ والجواب التمثيل الثاني؛ لأنه دل على فرط الحيرة وشدة الأغاليظ. السؤال الثاني: لِمَ عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك؟ الجواب من وجوه: أحدها: لأن أو في أصلها تساوي شيئين فصاعداً في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك... وثانيها: إنما ذكر الله تعالى ذلك لأن المنافقين قسمان بعضهم يشبهون أصحاب النار، وبعضهم

(48) سورة البقرة، الآية: 19.

يشبهون أصحاب المطر... وثالثها: أو، بمعنى بل... ورابعها أو، بمعنى الواو... السؤال الثالث: المشبه بالصيب والظلمات والرعد والبرق والصواعق ما هو؟ الجواب: لعلماء البيان ههنا قولان أحدهما: أن هذا تشبيه مفرق ومعناه... والقول الثاني: أنه تشبيه مركب وهو...»[49].

ومن التشبيه البليغ وهو «ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه»[50]، قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[51] قال: «فاعلم أنه تعالى لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال: صم عمي لأنهم صاروا بمنزلة الصم في أن الذي سمعوه كأنهم لم يسمعوه، وبمنزلة البكم في أن لا يستجيبوا لما دعوا إليه، وبمنزلة العمي من حيث إنهم أعرضوا عن الدلائل فصاروا كأنهم لم يشاهدوها»[52] وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[53]. قال: «اعلم أنه لما كان المعلوم من حالهم أنهم كانوا يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع حمل ذلك على الحقيقة. فلم يبق إلا تشبيه حالهم لشدة تمسكهم بالعناد، وإعراضهم عما يطرق سمعهم من القرآن، وما يظهره الرسول من الأدلة والآيات بمن هو أصم في الحقيقة، فلا يسمع، وإذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب، فلذلك جعله بمنزلة الأبكم، وإذا لم ينتفع بالأدلة ولم يبصر طريق الرشد فهو بمنزلة الأعمى»[54].

ومن التشبيه المقلوب وهو «جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر»[55] قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[56]. قال: «في الآية سؤال وهو أنه لِمَ لم يقل إنما الربا مثل البيع، وذلك لأن حِلّ البيع

(49) التفسير الكبير 2/ 70 ـ 72، ومثله 2/ 66، و7/ 48.
(50) جواهر البلاغة/ 270.
(51) سورة البقرة، الآية: 171
(52) التفسير الكبير 5/ 8.
(53) سورة البقرة، الآية: 18.
(54) التفسير الكبير 2/ 70.
(55) علم البيان/ 95، جواهر البلاغة/ 275.
(56) سورة البقرة، الآية: 275.

متفق عليه، فهم أرادوا أن يقيسوا عليه الربا، ومن حق القياس أن يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق، فكان نظم الآية أن يقال: إنما الربا مثل البيع، فما الحكمة في أن قلب هذه القضية فقال: «إنما البيع مثل الربا؟ والجواب أنه لم يكن مقصود القوم أن يتمسكوا بنظم القياس، بل كان غرضهم إن الربا والبيع متماثلان من جميع الوجوه المطلوبة، فكيف يجوز تخصيص أحد المثلين بالحِلّ، والثاني بالحرمة، وعلى هذا التقدير فأيهما قدم أو أخر جاز»[57].

المجاز:

تطور المجاز بوصفه عنصراً من عناصر الخطاب[58]، الذي يتخذ اللغة أسلوباً في التواصل مع الآخرين، والتي تشكل محوراً رئيساً للفهم التأويلي بوصفه «عملية موجهة إلى الأبنية الداخلية غير المرئية[59]، خلال عدة مراحل حتى صار مصطلحاً متفقاً عليه عند البلاغيين وغيرهم من الباحثين.

«إن لفظ المجاز مشترك لفظي بين ثلاثة معان: يستعمل بمعنى زمان وقع فيه الحدث فيكون اسم زمان، ولم يقل به أحد، أو، يستعمل بمعنى الحدث الذي هو الجواز فيكون مصدراً ميمياً بمعنى الجواز، أي الانتقال من حال إلى غيرها مبالغة في جوازه عن مكانه الأصلي حتى كأنه عين الجواز حيث نصبت له قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له»... وبمعنى مكان وقع فيه الحدث... فإن عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بالمجاز، أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو، جاز هو

---

(57) التفسير الكبير 7/ 80.

(58) الخطاب كل ملفوظ قابل للملاحظة، أي جملة أو مجموعة من الجمل الملفوظة، أو نص مكتوب بالتعارض مع النسق المجرد الذي هو اللغة. يتحقق كإنجاز وإنتاج خاص وفردي لمجموع من العلاقات والوحدات والعمليات المتموضعة على المحور النظمي للكلام في ظروف معطاة ومعينة للاتصال والتلفظ. وقد استخدم المصطلح حديثاً لتحديث مصطلحات: القول، أو الإنشاء «ينظر مقال» الخطاب: المرجعيات السيمائية، السوسولوجية الأيديولوجية «للدكتور عمار بلحسن/ 6 ـ 12.

(59) ينظر الهرمونطيقياً وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية للدكتور أحمد زايد/ 227 ـ 261.

مكانه لأنه ليس بموضع أصلي لهذا اللفظ، ولكنه مجازه ومتعداه وقع فيه»[60] ذلك أن المجاز في المعاجم اللغوية مصدر لفعل جزت مجازاً، ومآل هذا الفعل في اللغة إلى القطع والسير في الموضع، والتعدية، أو، الانتقال... ويتضمن المعنى اللغوي لكلمة المجاز جزءاً كبيراً من مدلوله الاصطلاحي[61].

تحدث الباحثون من النحاة واللغويين عن الأساليب المجازية بلفظ الاتساع، والمصطلح لم ينشأ بعد، ثم كان أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (207هـ)[62] أول من استخدم لفظ مجاز سنة (188هـ) في كتابه «مجازات القرآن»[63] بما هو كشف عن معاني الألفاظ في موضعها من النص القرآني. ثم استخدم الجاحظ (868م) مصطلح المجاز في كتابيه: البيان والتبيين[64]، و«الحيوان»[65] في القرن الثالث الهجري، وكذلك فعل ابن قيتبة (889م) في كتابه «تأويل مشكل القرآن»[66]، وبقي مفهوم المجاز ومفهوم الاستعارة متداخلَيْن حتى منتصف القرن الخامس الهجري، إذ صار المجاز مقابلاً الحقيقة في اللغة على يد عبد القاهر الجرجاني (1078م)، في كتابيه «دلائل الإعجاز»[67]، و«أسرار البلاغة»[68]. فقد أكد ذلك مصححاً في التعريف كلمة نقل اللفظ إلى معنى اللفظ.

ومن أشهر معاني المجاز في الاصطلاح أنه «ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة»[69]. وهو اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة

---

(60) المجاز وأثره في الدرس اللغوي / 39 ـ 40.

(61) لسان العرب، أساس البلاغة (مادة جوز).

(62) مجاز القرآن 1/ 42.

(63) تحقيق محمد فؤاد سزكين. القاهرة: (1954 ـ 1962).

(64) البيان والتبيين 1/ 210.

(65) الحيوان 2/ 62.

(66) تأويل مشكل القرآن/ 118.

(67) دلائل الإعجاز/ 211.

(68) أسرار البلاغة/ 93.

(69) معجم البلاغة العربية 1/ 170 ـ 171.

بينهما»[70]، أو «استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي»[71] و«الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب، والوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه، فخرج المجاز لأن دلالته بقرينة دون المشترك»[72] «وكل كلمة أريد لها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهو مجاز»[73] و«أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب»[74].

والمجاز أنواع، منها: المجاز العقلي «ويكون في الإسناد، ونسبة الشيء إلى غير ما هو له، ويسمى المجاز الحكمي والإسناد المجازي، ولا يكون إلا في التركيب»[75] وهو كل نسبة وضعت في غير موضعها بعلاقة تامة كانت أو ناقصة»[76] وقيل: «هو إسناد الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له»[77] قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[78]. قال: «فإن قيل: فهل رأيت سنبلة بها مائة حبة حتى يضرب المثل بها؟ قلنا: الجواب عنه من وجوه، الأول: أن المقصود من الآية أنه لو علم إنسان يطلب الزيادة والربح أنه إذا بذر حبة أخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك، ولا التقصير فيه، فكذلك ينبغي طلب الأجر في الآخرة عند الله، أن لا يترك إذا علم أنه يحصل على الواحدة عشرة ومائة وسبعمائة،

---

(70) معجم المصطلحات العلمية والفنية (مادة جوز).
(71) علم البيان/ 135.
(72) التلخيص/ 292 ـ 293.
(73) أسرار البلاغة/ 317.
(74) العمدة 1/ 456.
(75) معجم البلاغة العربية 1/ 170 ـ 171.
(76) المصطلح النقدي في نقد الشعر/ 123 ـ 125.
(77) جواهر البلاغة/ 296.
(78) سورة البقرة، الآية: 261.

فإذا كان هذا المعنى وجد في الدنيا سنبلة بهذه الصفة، أو لم يوجد كان المعنى حاصلاً مستقيماً[79].

أما المجاز المرسل فهو «ما كانت علاقته غير المشابهة»[80] والعلاقة هي المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه. ومن المجاز المرسل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾[81] وهو من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم إذ عبر بالحياء عن الترك، قال الرازي «اعلم أن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويُذَمّ، واشتقاقه من الحياء... وإذا ثبت هذا استحال الحياء على الله تعالى لأنه تغير يلحق البدن، وذلك لا يعقل إلا في حق الجسم... وجب تأويله، وفيه وجهان، الأول: وهو القانون في أمثال هذه الأشياء، أن كل صفة كتبت للعبد مما يختص بالأجسام فإذا وصف الله تعالى بذلك فذلك محمول على نهايات الأعراض لا على بدايات الأعراض.. فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء ومقدمته، بل ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته...»[82]. ومن علاقة البدلية قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[83]. قال: «إن المراد يقتل بعضكم بعضاً، وقتل البعض للبعض قد يقال فيه إنه قتل للنفس، إذ كان الكل بمنزلة النفس الواحدة»[84] ومن علاقة اللازمية: وهي كون الشيء يجب وجوده، عند وجود شيء آخر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾[85] قال: «وقرأ مالك بن دينار ينفجر، بمعنى وإن من الحجارة ما ينشقّ فيخرج منه الماء الذي يجري حتى تكون منه الأنهار»[86] ومن علاقة الجزئية وهي كون المذكور

---

(79) التفسير الكبير 7/ 39 ـ 40.
(80) علم البيان/ 147.
(81) سورة البقرة، الآية: 26.
(82) التفسير الكبير 2/ 122.
(83) سورة البقرة، الآية: 85
(84) التفسير الكبير 3/ 156.
(85) سورة البقرة، الآية: 74.
(86) التفسير الكبير 3/ 119.

ضمن شيء آخر، وذلك إذا ذكر لفظ الجزء، وأريد منه الكل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[87] قال: «المراد من الوجه ههنا جملة بدن الإنسان، لأن الواجب على الإنسان أن يستقبل القبلة بجملته، لا بوجهه فقط، والوجه يذكر ويراد به نفس الشيء؛ لأن الوجه أشرف الأعضاء، ولأن بالوجه تميز بعض الناس عن بعض، فلهذا السبب قد يعبر عن كل الذات بالوجه»[88] ومن علاقة الحالية، وهي كون الشيء حالاً في غيره وذلك إذا ذكر لفظ الحال وأريد المحل، لما بينهما من الملازمة نحو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾[89] قال: «قيل إن أكلهم في الدنيا وإن كان طيباً في الحال فعاقبته النار فوصف بذلك، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[90]... وذلك لأنه لما أكل ما يوجب النار فكأنه أكل النار...»[91]. ومن علاقة اعتبار ما يكون وهو النظر إلى المستقبل، وذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[92] قال: «معناه ولا تمنعوهن من أن ينكحن الذين كانوا أزواجاً لهن قبل ذلك... ويمكن أن يجاب عن باب معنى قوله: «ينكحن أزواجهن» من يريدون أن يتزوجوهن فيكونون أزواجاً، والعرب قد تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه، فهذا جملة الكلام في هذا الباب[93]. ومن علاقة إطلاق اسم الكل ق،وله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[94] قال: «بلوغ الأجل عبارة عن انقضاء العدة... المراد ببلوغ الأجل مشارفة البلوغ لا نفس البلوغ، وبالجملة، فهذا

---

(87) سورة البقرة، الآية: 144.

(88) التفسير الكبير 4/ 102.

(89) سورة البقرة، الآية: 174.

(90) سورة النساء، الآية: 10.

(91) التفسير الكبير 5/ 24.

(92) سورة البقرة، الآية: 232.

(93) التفسير الكبير 6/ 97.

(94) سورة البقرة، الآية: 232.

من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم الكل على الأكثر وهو قول الرجل إذ قارب البلد: قد بلغنا. . .»[95].

الاستعارة:

هي النوع الثاني من المجاز اللغوي، وتكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة. والاستعارة لغة: طلب العارة، أي العارية، يقال استعرت الشيء. واستعاره ثوباً فأعاره إياه[96]، وتعوّر واستعار طلب العارية، واستعاره الشيءَ واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه[97] ومن ذلك يفهم أن الاستعارة لا تتم إلا بين متعارفين، تجمع بينهما صلة ما[98]، فهي «نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركةٍ بينهما، مع طي ذكر المنقول إليه»[99] وقد «كرس الاستعمال الاصطلاحي معنى الانتقال هذا، وحافظ عليه؛ لأن الاستعارة في الاصطلاح البياني إن هي إلا استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي»[100] وقال القاضي الجرجاني «الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة، فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه ومناسبة المستعار المستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا تتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»[101].

ومن استعارة المحسوس للمعقول قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[102] قال: «وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول؛ لأن من

---

(95) التفسير الكبير 6/ 94.

(96) جامع الاستعارات/ 190.

(97) لسان العرب (مادة عور).

(98) علم البيان/ 167.

(99) المثل السائر/ 143.

(100) المصطلح النقدي في نقد الشعر/ 333.

(101) العمدة 1/ 462.

(102) سورة البقرة، الآية: 256.

أراد إمساك شيء يتعلق بعروته، فكذا ههنا من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه»[103]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[104] قال: «فالخطوة المكان المتخطى كما أن الغرفة هي الشيء المغترف بالكف، فيكون المعنى: لا تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه لأن الخطوة اسم مكان وهذا قول الزجاج وابن قتيبة فإنهما قالا: خطوات الشيطان طرقه، وإن جعلت الخطوة بمعنى الخطوة كما ذكر الجبائي، فالتقدير لا تأتموا به ولا تقفوا أثره، والمعنيان متقاربان وإن اختلف التقديران هذا ما يتعلق باللغة، وأما المعنى فليس مراد الله ههناما يتعلق باللغة، بل كأنه قيل لمن أبيح له الأكل على الوصف المذكور احذر أن تتعداه إلى ما يدعوك إليه الشيطان»[105] وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[106]. قال: «ومعلوم أن لفظ الإحاطة حقيقة في إحاطة جسم بجسم آخر، كإحاطة السور بالبلد والكوز بالماء، وذلك ههنا ممتنع، فتحمله على ما إذا كانت السيئة كبيرة لوجهين: أحدهما: أن المحيط يستر المحاط به، والكبيرة لكونها محيطة لثواب الطاعات كالساترة لتلك الطاعات، فكانت المشابهة حاصلة من هذه الجهة. والثاني: أن الكبيرة إذا أحبطت ثواب الطاعات فكأنها استولت على تلك الطاعات، وأحاطت بها كما يحيط عسكر العدو بالإنسان، بحيث لا يتمكن الإنسان من التخلُّص منه»[107].

والاستعارة، بمعنى اللفظ المستعار» إن كانت مذكورة في نظم الكلام لفظاً أو تقديراً فهي استعارة مصرّحة، أي مصرّح بها، ويقال لها استعارة مصرّح بها على الأصل، واستعارة تصريحية»[108]. ومن الاستعارة التصريحية قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ

(103) التفسير الكبير 7/ 15.
(104) سورة البقرة، الآية: 168.
(105) التفسير الكبير 5/ 4.
(106) سورة البقرة، الآية: 81.
(107) التفسير الكبير 3/ 132.
(108) معجم البلاغة العربية 1/ 412.

مُهْتَدِينَ﴾[109] قال «واعلم أن اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به... والضلالة الجور والخروج عن القصد، وفقد الاهتداء، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين»[110]، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾[111] قال: «فالجسم من حيث إنه جسم يقبل الأثر عن الغير، إلا أن صفة الحجرية لما عرضت للجسم صار جسم الحجر غير قابل، وكذلك القلب من شأنه أن يتأثر عند مطالعة الدلائل والآيات والعبر، وتأثره عبارة عن ترك التمرد... فإذا عرض للقلب عارض أخرجه عن هذه الصفة، صار في عدم التأثر شبيهاً بالحجر، فيقال قسا القلب وغلظ»[112].

وإذا لم يكن اللفظ المستعار مذكوراً في الكلام سمّيت الاستعارة استعارة مكنية نحو قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[113]، قال: «وفي وجه هذه الاستعارة وجهان، الأول: معناه تداخلهم حبه، والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب، وقوله «في قلوبهم» بيان لمكان الإشراب... الثاني: كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه، فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال»[114]. ومما يذكر فيه لفظ المشبه فقط وحذف المشبّه به ويذكر لازمه إشارة إليه قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[115]، قال: «المعنى جعلت الذلة محيطة بهم حتى صارت مشتملة عليهم فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، والأقرب في الذلة أن يكون المراد منها ما يجري مجرى الاستحقاق... أما قوله والمسكنة فالمراد به الفقر والفاقة وتشديد المحنة»[116].

---

(109) سورة البقرة، الآية: 16.
(110) التفسير الكبير 2/ 65 ـ 66.
(111) سورة البقرة، الآية: 74.
(112) التفسير الكبير 4/ 117.
(113) سورة البقرة، الآية: 93.
(114) التفسير الكبير 3/ 171.
(115) سورة البقرة، الآية: 61.
(116) التفسير الكبير 3/ 95.

ومن أمثلة الاستعارة التمثيلية وهي «تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي»[117] قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[118]، قال: «لا يمكن إجراء هذا اللفظ على ظاهره، بل لا بد من التأويل وهو من وجهين، الأول: أنه تعالى ذكر نفسه وأراد به رسوله على عادته في تفخيم وتعظيم شأنه.. الثاني: أن يقال صورة حالهم مع الله حيث يظهرون الإيمان وهم كافرون صورة من يخادع، وصورة صنيع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد الكفرة... بيان الغرض من ذلك الخداع وفيه وجوه»[119]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾[120] قال: «ممن ينقلب على عقبيه استعارة، ومعناه: من يكفر بالله ورسوله، ووجه الاستعارة أن المنقلب على عقبيه قد ترك ما بين يديه وأدبر عنه، فلما تركوا الإيمان والدلائل صاروا بمنزلة المدبر عما بين يديه، فوهنوا بذلك كما قال تعالى: «ثم أدبر واستكبر»[121]، وكما قال: «كذّب وتولى»[122]، وكلّ ذلك تشبيه»[123].

الكناية:

الكناية لغة «مصدر كنيت عن كذا بكذا، أكني وأكنو: تكلمت بما يستدل به عليه»[124]. قال عبد القاهر «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في

---

(117) علم البيان/ 192.

(118) سورة البقرة، الآية: 9.

(119) التفسير الكبير 2/ 56 ـ 57.

(120) سورة البقرة، الآية: 143.

(121) سورة المدثر، الآية: 23.

(122) سورة طه، الآية: 48.

(123) التفسير الكبير 4/ 96.

(124) الكافي في علوم البلاغة العربية: الكتاب الثاني/ 545 معجم البلاغة العربية1/ 771.

الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه»[125] ويقول القزويني «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه»[126]، وتستعمل الكناية لتأكيد المعنى وتهجين الشيء، وتحسين المعنى وتجميله مع إخفاء الأمر على المخاطبين، والتعبير عن الشيء بلفظ جميل بدل اللفظ المستهجن الموضوع له»[127] وإذا توسعنا في بلورة القيمة الفنية لها «فإننا نراه في قدرته على إعطاء إشارات رامزة كانت الدلالة الإشارية التي تبعد التركيب اللغوي عن المباشرة»[128] قال الله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[129] قال: «إن المرض صفة توجب وقوع الضرر في الأفعال الصادرة عن موضع تلك الصفة. ولما كان الأثر الخاص بالقلب إنما هو معرفة الله تعالى وطاعته وعبوديته، فإذا وقع في القلب من الصفات ما صار مانعاً هذه الآثار، كانت تلك الصفات أمراضاً للقلب... لا بد من التأويل، وهو من وجوه. الأول: يحمل المرض على الغم.. أي زادهم الله غماً على غمهم، بما يزيد في إعلاء أمر النبي ﷺ وتعظيم شأنه. الثاني: أن مرضهم وكفرهم كان يزداد بسبب ازدياد التكاليف... الثالث: المراد من قوله «فزادهم الله مرضاً» المنع من زيادة الألطاف، فيكون بسبب ذلك المنع خاذلاً لهم.. الرابع: أن العرب تصف فتور الطرف بالمرض.. فكذا المرض هنا الفتور في النية... الخامس: أن يعمل المرض على ألم القلب...»[130]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾[131] قال: «الكناية فيه (به) يجوز أن تعود إلى الكتمان، الفعل يدل على المصدر ويحتمل أن تكون عائدة إلى ما أنزل الله، ويحتمل أن تكون عائدة إلى المكتوم»[132]. قال

---

(125) دلائل الإعجاز، القاهرة ط5 دار المنار 1372هـ/ 105 (ص290).

(126) التلخيص/ 337.

(127) نحو بلاغة جديدة/ 154.

(128) البلاغة التطبيقية/ 422.

(129) سورة البقرة، الآية: 10.

(130) التفسير الكبير 2/ 58 ـ 59.

(131) سورة البقرة، الآية: 174.

(132) التفسير الكبير 5/ 23.

الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[133]. قال: «فثبت أن الأصل في الرفث هو قول الفحش، ثم جعل ذلك اسماً لما يتكلم به عند النساء من معاني الإفضاء ثم جعل كناية عن الجماع وعن كل ما يتبعه: فإن قيل لم كنى ههنا عن الجماع بلفظ الرفث الدال على معناه القبح بخلاف قوله... جوابه السبب فيه استهجان ما وجد منهم قبل الإجابة، كما سماه اختيانا لأنفسهم والله أعلم»[134] قال الله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾[135]. قال: «اتفقوا على أن المراد من المسيس في هذه الآية الدخول، قال أبو مسلم وإنما كنى تعالى بقوله ﴿تمسوهن﴾ عن المجامعة تأديباً للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به[136]. وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[137] قال: «اتقاء النار يوجب ترك العناد، فأقيم المؤثر مقام الأثر وجعل قوله ﴿فاتقوا النار﴾ قائماً مقام قوله فاتركوا العناد، وهذا هو الإيجاز الذي هو أحد أبواب البلاغة، وفيه تهويل لشأن العناد لإنابة اتقاء النار منابه مُتْبِعاً ذلك بتهويل صفة النار»[138].

ونستخلص من تتبعنا لتفسير آي الذكر الحكيم في التفسير الكبير، واستقصائنا لفكر الإمام الرازي اللغوي والنحوي والبلاغي، أنه أجاد في تطبيقاته للمفاهيم البيانية، وعرضه للصور العديدة، على درجة منقطعة النظير، تسجل له بالإجلال العلمي، بسبب وعيه للمفاهيم وتطبيقها، زيادة على تعمقه ودقته. وهو يفسر آيات القرآن الحكيم.

---

(133) سورة البقرة، الآية: 187.

(134) التفسير الكبير 5/ 90.

(135) سورة البقرة، الآية: 236.

(136) التفسير الكبير 6/ 118.

(137) سورة البقرة، الآية: 24.

(138) التفسير الكبير 2/ 112.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أسرار البلاغة/ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ. ريتر. ـ بيروت: دار المسيرة، 1983م ـ (ط3) ص483.
- البلاغة التطبيقية/ د. محمد رمضان الحربي ـ الجماهيرية الليبية: جامعة ناصر، 1997م ـ ص334.
- البيان والتبيين/ الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف، 1948م.
- تأويل مشكل القرآن/ ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر ـ القاهرة: دار التراث، 1973 (ط2).
- التفسير الكبير/ الرازي ـ بيروت: دار الكتب العلمية، 1990 (32ج = 16مج).
- التلخيص في علوم البلاغة/ القزويني ـ بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.، ص439.
- جواهر البلاغة/ السيد أحمد الهاشمي ـ بيروت: دار إحياء التراث، د.ت، ص428 (ط12).
- الخطاب: المرجعيات السيميائية، السوسولوجية، الإديولوجية/ د. عمار بلحسن ـ بيروت ـ كتابات معاصرة، مج3 ع11، 1991م (ص6 ـ 12).
- دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر ـ القاهرة: دار المدني، 1992م.
- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري/ د. علي البطل ـ بيروت: دار الأندلس، 1981م ـ ص238 (ط2).
- علم البيان/ د. عبد العزيز عتيق ـ بيروت: دار النهضة العربية، 1985م ـ ص230.
- الكافي في علوم البلاغة العربية: الكتاب الثاني/ د. عيس علي العاكوب وأ. علي سعد الشتيوي ـ الجماهيرية العربية الليبية: الجامعة المفتوحة، 1993م ـ ص693.
- كتاب جامع العبارات في تحقيق الاستعارات/ أحمد مصطفى الطرودي التونسي؛ تحقيق محمد رمضان الحربي ـ الجماهيرية العربية الليبية: الدار الجماهيرية للنشر، 1986م ـ (2ج).

- كتاب الحيوان/ الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ القاهرة: دار الجيل، 1992م.
- كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه/ ابن رشيق القيرواني، تحقيق د. محمد قرقزان ـ بيروت: ودار المعرفة، 1988 ـ (2ج).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق مصطفى حسين أحمد. بيروت: دار الكتاب العربي، 1987م.
- لسان العرب المحيط/ ابن منظور ـ بيروت: دار لسان العرب. 1988م.
- المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر/ ضياء الدين بن الأثير ـ القاهرة: دار نهضة مصر، 1973م (4ق).
- مجاز القرآن/ معمر بن المثنى، تحقيق: د. فؤاد سزكين ـ القاهرة، مطبعة الخانجي، د.ت.
- المجاز وأثرة في الدرس اللغوي/ د. محمد بدري عبد الجليل ـ بيروت: دار النهضة العربية، 1986 ـ ص290.
- المصطلح النقدي في نقد الشعر/ إدريس الناقوري ـ الجماهيرية العربية الليبية: المنشأة العامة للنشر، 1984م ـ ص622.
- معجم البلاغة العربية/ د. بدوي طبانة ـ الجماهيرية العربية الليبية: جامعة طرابلس، 1975 ـ (2ج).
- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية مع عرض موجز الاتجاهات التفسير لأبي حذيفة إبراهيم بن محمد، مصر، دار الصحابة للتراث، 1988 ـ ص108.
- الموسوعة الفلسفة/ د. عبد الرحمن بدوي ـ بيروت: الموسوعة العربية للدراسات والنشر، 1984 (2ج).
- الوسوعة الفلسفية/ روز نثال وآخرون، ترجمة سمير كرم ـ بيروت: دار الطليعة، 1981م ـ (ط4).
- نحو بلاغة جديدة/ د. عبد المنعم خفاجي، ود. عبد العزيز شرف ـ القاهرة: مكتبة غريب، 1977م ـ ص191.
- الهرمنيوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية/ د. أحمد زايد ـ قطر: حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ع14 س1991 ص(227 ـ 261).